



إيبارشية جنوبي الولايات المتحدة الأمريكية
الرسالة الشهرية للرهبان والراهبات والمكرسين والمكرسات
يونيو ٢٠١٧

أبنائي الأحباء،

دعوني أشاطركم سرّاً: لا يوجد ما يسعدني في هذا العالم كله أكثر من أن أرى أنكم تحبون الله، وتحبون بعضكم البعض. لا شيء أبداً. عندما سأل الفريسي رينا يسوع المسيح قائلاً: «يا مُعَلِّمُ، أَيَّةُ وَصِيَّةٍ هِيَ الْعَظْمَى فِي النَّامُوسِ؟» فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «تُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ. هَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الْأُولَى وَالْعَظْمَى. وَالثَّانِيَةُ مِثْلُهَا: تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. بِهَاتَيْنِ الْوَصِيَّتَيْنِ يَتَعَلَّقُ النَّامُوسُ كُلُّهُ وَالْأَنْبِيَاءُ». (مت ٢٢: ٣٦-٤٠)

وعلى الرغم من أننا نعرف أنه إذا قلنا: "أنا نحب الله ونبغض أخانا/ أختنا فالحق ليس فينا" (١ يو ٤: ٢٠) قد نتساءل لماذا هذا هو الحال؟ لأنه يبدو أنه من السهل أن نكون قادرين على محبة الله الكلي المحبة، ومن الطبيعي أن نشعر بمشاعر الازدراء تجاه أخ/أخت خاطيء أو صعب المراس. إذن، فلماذا لا يمكننا أن ندعي أننا نحب الله إذا كنا، في قلوبنا، لا نشعر بالمحبة تجاه إخواننا/ أخواتنا؟ وماذا يعني أن "أحب قريبي كنفسي"؟ دعونا نجيب على هذه الأسئلة من خلال ثلاثة نقاط.

أولاً: عندما قال رينا يسوع المسيح: «أُثْبِتُوا فِيَّ وَأَنَا فِيكُمْ». (يو ١٥: ٤). قال أيضاً: «كَمَا أَنَّ الْغُصْنَ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَأْتِيَ بِثَمَرٍ مِنْ ذَاتِهِ إِنْ لَمْ يَثْبُتْ فِي الْكَرْمَةِ، كَذَلِكَ أَنْتُمْ أَيْضًا إِنْ لَمْ تَثْبُتُوا فِيَّ». (يو ١٥: ٤). تحدّث القديس أوغسطينوس عن كيف أن الفرع لا يفيد الجذر، ولكنه يتغذى من الجذر لكي يُزهر، لأنه هكذا تم تصميمه^(١). نحن نضيع الوقت في محاولة اقتناء الفضيلة بمجهوداتنا الذاتية ووسائل أخرى بعيداً عن الله. يقول القديس مكسيموس المعترف: «لقد قال لنا الرب: "بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً" هذا لأنه بسبب ضعفنا لا نستطيع إكمال فعل الخير عندما نُقْبَل عليه بدون معونة مُعْطَى الْخَيْرَاتِ»^(٢). ينبغي علينا أن نستمر رغباتنا وجهودنا في المسيح، لأنه في كل الأشياء الأخرى عندما نعطي فإننا نخسر... فنحن قد نخسر الوقت... نخسر الطاقة... نخسر حتى سلامنا... لأننا في مثل هذه الحالات نكون كفروع قُطعت من الجذر تحاول بمشقة أن تؤتي ثماراً بأية طريقة كانت. ومع ذلك، ففي المسيح، كلما أعطينا كلما امتلأنا. ليست هناك أبداً خسارة في المسيح. وبالتالي فإن بداية كل شيء هي دائماً في المسيح.

إذا كنا لا نحب أخونا/ أختنا فهذا لأننا لم نثبت في المحبة، وإن كنا لم نثبت في المحبة فهذا لأننا لم نثبت في الله، "لأنَّ اللَّهَ مَحَبَّةٌ" (١ يو ٤: ٨) ثانياً: يقول رينا يسوع المسيح: «إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونِي فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ» (يو ١٤: ١٥). فهل يمكننا أن نقول أننا نحب الله إذا لم تكن نحب بعضنا البعض؟ "لَا تَكُونُوا مَدْيُونِينَ لِأَحَدٍ بِشَيْءٍ إِلَّا بَأَنْ يُحِبَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، لِأَنَّ مَنْ أَحَبَّ غَيْرَهُ فَقَدْ أَكْمَلَ النَّامُوسَ". (رو ١٣: ٨)، ولهذا السبب أيضاً كان آباء البرية دائماً ما يُعَلِّمون تلاميذهم أن يبدأوا بأساس المحبة: "بهذا أولاد الله ظاهرون وأولاد إبليس: كلُّ مَنْ لَا يَفْعَلُ الْبِرَّ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ، وَكَمَا مَنْ لَا يُحِبُّ أَخَاهُ". (١ يو ٣: ١٠). يقول القديس الأنبا أنطونيوس: "الموت والحياة يعتمدان على القريب. لأننا إذا ربحتنا أخانا، فإننا نريح الله، وإذا ما أعثرنا أخانا، نخطأ إلى المسيح"^(٣). يجب أن ندرك حجم العواقب التي سنواجهها إذا لم نبذل جهداً كبيراً لتزيل من أنفسنا المرارة التي في قلوبنا تجاه بعضنا البعض.

"نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ قَدَّ انْتَقَلْنَا مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ، لِأَنَّنا نُحِبُّ الْإِخْوَةَ. مَنْ لَا يُحِبُّ أَخَاهُ يَبْقَى فِي الْمَوْتِ. كُلُّ مَنْ يَبْغِضُ أَخَاهُ فَهُوَ قَاتِلٌ نَفْسِهِ. وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ كُلَّ قَاتِلٍ نَفْسٍ لَيْسَ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ ثَابِتَةٌ فِيهِ". (١ يو ٣: ١٤، ١٥) "إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَحْفَظُ كَلَامِي فَلَنْ يَرَى الْمَوْتَ إِلَى الْأَبَدِ" (يو ٨: ٥١).

(١) مترجم من الإنجليزية. Sheridan, M. (2000). Ancient Christian Commentary on Scripture. Downers Grove, IL.: InterVarsity Press.

(٢) مترجم من الإنجليزية. Sheridan, M. (2000). Ancient Christian Commentary on Scripture. Downers Grove, IL.: InterVarsity Press.

(٣) (أقوال الآباء الشيخوخ، القديس أنطونيوس الكبير (بيروت: منشورات النور، ١٩٩٨) ص ٤٠.

ثالثاً: في اعتقادكم، لماذا طلب الله منا أن نحب القريب كالنفس، ولم يستخدم أي تعبير آخر؟ هل بسبب أننا نهتم بأنفسنا أكبر إهتمام؟

فعندما يتعلق الأمر بخطايانا نُشْفِق على أنفسنا... نلتمس لها الأعذار... ونأمل أن يُغفر لنا...

عادةً، لا نُظهر ضعفاتنا... وغالباً ما نسعى إلى ما فيه مصلحتنا وفائدتنا... نود أن نرضي أنفسنا لنكون مرتاحين وسعداء... نحب أن نُخدَم، أن نُكْرَم، وأن يمدحنا الناس...

نحن لا نحب أن نُدان، أو أن يتكلم أحداً عنا بالسلب، ونرغب أن يُعذّر إلينا متى تَمَّت إساءتنا. ولعل هذا هو السبب في أن الله طلب منا أن نحب الآخرين كأنفسنا. وأود أيضاً أن أشير إلى شيءٍ آخر - لقد قال ربنا يسوع المسيح: "فَكُلُّ مَا تُرِيدُونَ أَنْ يَفْعَلَ النَّاسُ بِكُمْ أَفْعَلُوا هَكَذَا أَنْتُمْ أَيْضاً بِهِمْ، لِأَنَّ هَذَا هُوَ النَّامُوسُ وَالْأَنْبِيَاءُ" (مت ٧: ١٢)، لاحظ أنه لم يقل: "مهما فعل الناس بكم، فافعلوه أنتم أيضاً بهم"، ولكن بالحري "مَا تُرِيدُونَ أَنْ يَفْعَلَ النَّاسُ بِكُمْ أَفْعَلُوا هَكَذَا أَنْتُمْ أَيْضاً بِهِمْ".

إذا كنا ثابتين في الله، فسوف نمتلئ بالمحبة، كما قال القديس أوغسطينوس: "إن المحبة هي عطية من الله، حتى أنها يطلق عليها الله".^(٤) إذا كنا ثابتين في الله، فسوف نعرفه، وسوف نفيض بالمحبة لبعضنا البعض. لأن "مَنْ لَا يُحِبُّ لَمْ يَعْرِفِ اللَّهَ، لِأَنَّ اللَّهَ مَحَبَّةٌ" (١ يوحنا: ٤: ٨). وإن أحببنا بعضنا البعض، فسوف نسعى إلى مصلحة وإسعاد أخانا/أختنا، وسوف نلاحظ خطايانا. لأنه كما يقول آباء البرية: "إن من يحمل خطايا له لن يرى خطايا قريبه"^(٥).

هذا هو عمل حياتنا يا أحبائي، وليس شيئاً آخر. لذلك، أُحَنِّكُمْ على الحذر من المُشْتَتَات التي قد تبدو مُهِمَّة، ولكنها لا تدفعنا نحو الخلاص.

"حدث في مرة أن جاء راهباً إلى القديس باسيليوس الكبير وقال له:

- "قل لي كلمة منفعة يا أبي". فأجابه القديس باسيليوس:

- "تحب الرب إلهك من كل قلبك". وعلى الفور تركه الراهب ومضى. وبعد عشرين عاماً رجع مرة أخرى وقال:

- "لقد جاهدت لتنفيذ كلمتك يا أبي، والآن قل لي كلمة منفعة أخرى". فقال له:

- "تحب قريبك كنفسك". فعاد الراهب بطاعة إلى قلايته لتنفيذ هذه أيضاً"^(٦).

أبنائي الأحباء... أشعر بسعادة غامرة عندما أرى أن الله في وسطكم، وأن لديكم محبة لبعضكم البعض... أشعر بسعادة غامرة عندما أراكم، بدلاً من الشكاوى والمنازعات، تلتمسون الأعذار لبعضكم البعض وتسامحون وتغفرون وتوسعون لمصلحة إخوانكم/أخواتكم قبل مصالحكم الشخصية. "عندما تسمع شيخاً يمتدح قريبه أكثر من نفسه، اعلم أنه قد بلغ درجة من الكمال رفيعة، لأن هذا هو الكمال، أن تمجد قريبك أكثر من نفسك"^(٧).

في قصة الأنبا بيشوي، لم يُعطى الراهب الذي اهتم بما لنفسه نعمة رؤية ربنا يسوع المسيح، بل الذي اهتم بما للآخر. أين تجد في السنكسار قصة ملاك الرب يأتي إلى قديس ويقول له: "لقد قبل الله مواهبك، وقد أرسلني لأباركك"؟

هل يفخر الأب بأبنائه حينما يكون لديهم أفكار مبتكرة، أو مواهب، أو مهارات قيادية، أو ممارسات نسكية شديدة، إلخ...؟ أم حينما يكون فيهم

محبة الله، ومحبة بعضهم البعض، واتضاعهم؟

تذكّر أنه مكتوب: "إِنْ كُنْتُ أَتَكَلَّمُ بِاللُّسَانِ وَالْمَلَأَيْكَةِ وَلَكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ، فَقَدْ صِرْتُ نَحَاسًا يَطِينُ أَوْ صَنْجَا يَرِنُ. وَإِنْ كَانَتْ لِي نُبُوَّةٌ، وَأَعْلَمُ جَمِيعَ الْأَسْرَارِ وَكُلَّ عِلْمٍ، وَإِنْ كَانَتْ لِي كُلُّ الْإِيمَانِ حَتَّى أَنْقَلُ الْجِبَالَ، وَلَكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ، فَلَسْتُ شَيْئًا. وَإِنْ أَطْعَمْتُ كُلَّ أَمْوَالِي، وَإِنْ سَلَّمْتُ جَسَدِي حَتَّى أَحْتَرِقَ، وَلَكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ، فَلَا أَنْتَفِعُ شَيْئًا". (١ كو ١٣: ١-٣).

ليمنحنا الرب الحكمة، والاتضاع، ونعمة المحبة العظيمة.

ليكن سلام ومحبة ربنا يسوع المسيح مع جميعكم.

والمجد لله إلى الأبد. آمين.

(٤) مترجم من الإنجليزية. Sheridan, M. (2000). Ancient Christian Commentary on Scripture. Downers Grove, IL: InterVarsity Press.

(٥) أقوال الآباء الشيوخ، الأب موسى (بيروت: منشورات النور، ١٩٩٨) ص ١٩١.

(٦) مترجم من الإنجليزية. Ward, B. (1975). In The Sayings of the Desert Fathers: the Alphabetical Collection, in the Foreword under the "Spiritual Father" Section. (p. xxii).

(٧) أقوال الآباء الشيوخ، الأب ماتوي (بيروت: منشورات النور، ١٩٩٨) ص ١٩٤.